موقع الدراسات
القبطية والأرثوذكسية

من رسائل الأب صفرونيوس

قِيامَةُ الإنسانِ والكونِ في المسيحِ يسوعَ

المئوية
الأولى

www.coptology.com

Coptology

ⲥⲁⲛⲱⲩ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

قِيامَةُ الإنْسانِ والكَوْنِ في المَسِيحِ يَسُوعَ

المئوية الأولى

من رسائل الأب صفرونيوس

2012

www.coptology.org

من رسائل القديس صفرونيوس

مائة مقالة

في

قيامةُ الإنسانِ والكونِ

في المسيحِ يسوع

المئوية الأولى

قيامة الإنسان والكون

في المسيح يسوع

١– خلاصة البشارة وجوهر الإنجيل هي أن: "الرب قام بالحقيقة قام". وبقيامة الرب، قام الإنجيل نفسه، أي صار هو البشارة بالحياة؛ لأن الحياةَ لم تعد خاضعةٌ لقبضة الموت.

قبل القيامة كانت كل مظاهر الحياة وأنواعها تنتهي بالموت. حتى الكلمات التي تُقال أو تُكتب، كانت تموت مع قائلها، أو تموت بمرور الزمان، أو تسقط معانيها بما يحدث في الحياة من تغيير.

تموت القوة بموت الأقوياء، وتفقد قدرتها على التغيير؛ لأن الأقوياء في التراب. وتصبح الكلمة نفسها، أي كلمة "القوة" بلا فاعلية، فقد ضاعت؛ لأن الأقوياء صاروا هزؤ الضعف والفساد. ويموت "الغنى" بموت الأغنياء، ويبدد الورثة ما جمعوه، ويأكل الزمان ثروتهم وصيتهم، ويصبح الغنى مثل الفقر.

يضع الموتُ نهايةً لكل معاني الكلمات. قد يبقى معنى أية كلمة مدوَّناً في المصاحف أو في فكر الإنسان، ولكن الزمان يزعزع معاني الكلمات. كم وُلدت، وكم ماتت لغات وكلمات!

٢– لما قام الربُ من القبر، انفتح لنا باب الحياة العقلية، وتغيَّرت معاني كلمات

كثيرة، وصار التغيير للحياة وبقى معنا في لغتنا. **صار الموتُ انتقالاً، وصار الغنى شركةً في الطبيعة الإلهية. صار العبدُ ملكاً، وصار الفقيرُ غنياً بالروح القدس وعطاياه.** صارت القوة تحت لواء المحبة والصفح. تحول الخبز الذي يسند قلب الأجير والفلاح والتعابى، إلى خبز الحياة الواهب الحياة للعالم، الخبز النازل من فوق من عند الآب.

٣– قبل قيامة الرب كان رَحِمُ النساء يلد أبناءَ وبنات الموت. أمَّا بعد القيامة صار رَحِمُ النساء يلد زرعَ الملكوت. تحولت الحياة إلى حياةٍ أبديةٍ. وهكذا بالحياة التي لا تموت ولا تفنى، تغيَّرت معاني كلمات كثيرة؛ لأن القيامة أبطلت شوكة الموت. **بقيامة الرب صار النورُ هو نور المحبة الذي يكشف لنا عن الباقي والفاني، ويعلن لنا المعاني الحقيقية لكل الأشياء.**

٤– قبل قيامة الرب كان الحق يقاس بدقة مقاييس المنطق والفلسفة والطب والشريعة وسائر فروع العلوم. وكان الحق يحتاج إلى قوة السلاح وقوة القمع. وأحياناً كان الحق يسقط عندما يسقط الذين يطالبون به. تسقط النظريات كما تسقط البنايات القديمة. تموت الحقوق إذ يعفو عليها الزمان. أين حدود بلاد الرومان؟ وماذا فعل الزمان بفتوحات الإسكندر؟ أين عروش الملوك ومدارس الفلاسفة؟ ومن الذي يقرأ ويدرس كلماتهم؟ لقد هزم الزمان والموت كل هذه الأشياء.

٥– لماذا أقول إن الحق يموت بموت المطالبين به؟ لأن الذين يطالبون به والذين يفرضونه على الغير ينامون في التراب، والشرائع التي تعطي الحقوق تتغيَّر. وتولد الأفكار وتموت مثل البشر، ولما كان سلاح الحق هو الفكر، والفكر يتغير، يتغير معه الحق وما يتغير لا يبقى إلى الأبد.

٦– كيف غيَّرت القيامة كل هذه الأمور؟ زرعت القيامةُ الحياةَ التي لا تموت. صارت كلمات البشارة وعاءَ حياةِ عدم الموت. صارت كل الحقائق تلمع بقوة البقاء؛ لأنها صارت تحت عرش آدم الأخير. ولم يكن الرسول يجهل ما بدده آدم الأول، وما أحياه آدم الجديد. وُهِبَ آدم الأول صورة الله بالشركة في الكلمة وفي الروح القدس،

ومعها صورة الموت إذا ترك الشركة. وفي آدم الأول افترقت الصورتان، كان يستطيع أن يغلب صورة الموت؛ لأنها لم تكن قد خُلِقَت له ولا كانت في كيانه، بل كانت صورة الموت الانتقال من الأرض إلى السماء. ولما تألَّه بالمعرفة وحدها، صارت إلوهيته بلا شركة وجفَّت بالزمان؛ لأنها لم تأكل من شجرة الحياة، فصارت الإلوهية بالمعرفة فخَّ الموت؛ لأن المعرفة بلا حياة، جوفاء مثل "صنج يرن". وصارت معرفةَ موتٍ، لا معرفةَ حياة. ودخلت صورة الموت، أي العدم، فكر الإنسان لما تأمَّل ذاته بدون خالقه.

أمَّا آدم الحقيقي والأخير – لأن الأخير هو الجديد وهو بداية حق الحياة – فقد جمع صورة الله وصورة الإنسان. وحَّد الحياةَ بموت الإنسان، فداست فيه الحياةُ الموتَ وأعلنت القيامة. تألَّهت طبيعتنا فيه بالحق، أي حق الحياة، وتألَّهت المعرفة بنور محبة وحق روح الحق، ومنذ أن فَتَحَ باب القبر للحياة، صارت لغة الإنجيل هي لغة الحياة التي تغلب الموت، ولغة المحبة التي تبيد العداوة والبغضة التي هي لغة الموت. وافترق الإنجيل عن الشريعة، رغم أن الشريعةَ من الله؛ لأن الشريعة تحكم على كل الخطاة بالموت، وبالشريعة – كما قال الرسول – معرفة الخطية، أمَّا الإنجيل فهو يُحيي الموتى ويقيم الخطاة، وبالإنجيل معرفة الحياة، والحياة بالقيامة.

٧- ما هي لغة الحياة الجديدة في المسيح؟

أولاً: هي إلهام روح الحياة الذي يجذب الموت لكي يبيده. وهو روح الحق، روح يسوع المسيح الذي يحل تناقض الحياة والموت بالصليب إلى أن تغلب الحياة تماماً في الدهر الآتي، دهر الحياة التي لا تغربُ لها شمسٌ؛ لأن المسيح هو "شمس البر" الحي.

ثانياً: تأمَّل أناشيد العروس (الكنيسة) إنها أناشيد الرجاء والانتظار الحي، وأناشيد الحرية، حرية الحياة التي تفتِّش بمحبة ولهفة الروح عن الحق الآتي؛ لأن الحق الأول أي "الألف – **A**" قد أُعلِنَ، أمَّا الآتي "الياء – **Ω**" فسوف يُعلَن. وهذا انعكس على لغة الإنجيل؛ لأن البشائر الأربعة لم تُكتب بلغة الناموس وحسب دقة الحروف، ولكن

حسب حق الحياة. فالناموس (قانون) لا يتغير وحروفه ثابتة، أما الإنجيل فهو بشارة حياة والحياة تنمو نحو "الياء – **Ω**". وحسب حرف الشريعة نجد النواهي، وحسب حرية الحياة نجد هبة وعطية الله التي لا تحصرها الكلمات.

أخبرني يا مَن تفتش بلهفةٍ عن تناقضات في كلمات الرب. هل أنت تفتش بقدرة الشريعة أو تفتش بروح العطية؟. لقد صرنا في المسيح شركاء الطبيعة الإلهية فكيف يعبِّر من تألَّه بالنعمة ونال استنارة الروح عن عطية الحياة بدون تناقضات الحياة. ألا تفهم أن العطية ليست شريعة مثل شريعة موسى، بل شريعة حياة تزيد فيها العطية بمرور الزمان وحسب قوة الشركة. لم نتألَّه في المسيح يسوع نفسه الذي حملنا في أقنومه المتجسد لكي نحيا حسب الشريعة، بل حسب الروح. **ولذلك لم يقتل الرب تناقض الحرف والروح، وتناقض الحياة والموت، بل صلب الاثنين معاً لكي يصالح الأضداد.**

تأمل إنجيل المسيح، إنه لا يعبِّر عن الحياة بحروفٍ، بل بالعطية. ولم يقدم الحق في كلماتٍ، بل في روح الحق. ولم يعلن البشارة بالحروف، بل بهبة الحياة. ولم تكن عطية التبني كلمة، بل موت الرب وقيامته وانسكاب روح التبني. هذه أسماء لعطايا تعبِّر عنها الحروف، ولكنها تترك لكل إنسان حق استعمال الحروف حسب نموه في الشركة.

٨– لقد غيَّرت القيامةُ الصومَ. فجعلت الصومَ انقطاعاً عن الطعام الأرضي طلباً للطعام السماوي أي جسد ودم عمانوئيل إلهنا المنُ العقلي. **نصوم قبل التناول لكي نذوق طعام الدهر الآتي، أي المسيح كلمة الله قبل أن نذوق خيرات الخليقة الأولى.** نمتنع بإرادتنا عن الطعام الأرضي لكي ننال الطعام السمائي الحقيقي الذي قال عنه الرب: "جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق". وعندما نأكل المن السماوي نتعلم كيف نأكل الطعام الأرضي.

٩– كما غيَّرت القيامةُ الصلاةَ. صارت الصلاة طلباً للثبات في الحياة الجديدة وقبولاً للموت مع المسيح؛ لكي نعبر بحر الأهواء وعواصف اللذات الأرضية بدون مضرة.

١٠– جعلت القيامةُ الصلاة في الوجود الدائم الحي في المسيح. نأتي **إليه** بكل

ما تحمله الطبيعة القديمة من أهواء وفساد، **وبه وفيه** نقترب من الآب لكي نحيا كأبناء لله. أقام الرب الصلاة وجعل قوتها ليس في اللفظ ولا في فصاحة الكلمات، بل في قوة المواعيد وفي شفاعة الروح القدس.

١١– بقيامة الرب من الأموات صار نطقُ الكلمات في الصلاة، ليس حسب قوة وعواطف ودموع المصلي، بل حسب قوة وعمل شفاعة الروح القدس الذي "يأخذ من الابن"، ويعطي لنا حياةً غالبةً بالصليب، حرةً من سيادة الخطية، تتجلى بقوة الروح القدس، حيث ينقل الصليب قوة آلام الرب، لأننا لا نتألم فيه عبثاً، بل نتألم لكي يحول الطبيعة العارية من الخلود إلى طبيعة الرب نفسه.

١٢– تحوِّلُنا القيامة إلى عمق انتصار الصليب على الموت بالبذل والعطاء وعدم الخوف من الموت الداء الخفي القديم الذي لا يقلعه النسك وحده، بل عطية الحياة في المسيح.

١٣– حوَّلت القيامةُ أسفار العهد القديم إلى رموزٍ للحياة الآتية، هنا على الأرض والتي تكمُل في الدهر الآتي، الحياة التي جذرها في المسيح. صارت الكلمات والنصوص رموزاً تُعلِن لنا في عتمة الموت رموز الحياة المستنيرة التي أشرقت بالابن الوحيد ربنا يسوع المسيح.

لقد صارت الكلماتُ رموزاً **أولاً**: لأن التاريخ القديم مغلقٌ عليه في الزمان، وبعادات وطقوس لا تحمل سمات الحياة الأبدية. هي طقوس وعادات العبادة القديمة التي لا تملك قوة الحياة؛ لأنها كلمات عن عادات عبرت وانتهت. وبمجيء الكلمة بالجسد، نقل الربُ حقائق الحياة القديمة إلى رموز الحياة المسيحية. فتحول الاغتسال بالماء للطهارة إلى رمزٍ لغسلٍ يقوم به الروح القدس، واغتسال الروح أقوى ودائم لأنه يطهِّرنا للحياة الآتية. هو اغتسال عقلي ينعكس على الجسد. وصارت الذبائح رموزاً للذبيحة الأعظم تلك التي رفعت الموت وأبطلت حكم الناموس القاضي بموت الخطاة. **ثانياً**: تمت النبوات الإلهية بتجسد وموت وقيامة الرب. هذه النبوات صارت مثل نورٍ يشرق في أسفار العهد

القديم، تشرح لنا بشكل رمزي ليس كمال سر الله في يسوع المسيح، بل بعتامة الرمز ما سوف يكمِّله الرب بتجسده وموته وقيامته، وهو ما يفوق رموز العهد القديم. وكما سِيق الحمل للذبح حسب نبوة أشعياء، سِيق الربُ للصليب، وصارت كلمات النبوة ليست شرحاً، بل إشارةً ورمزاً تُشرح في نور الصليب والقيامة. **ثالثاً:** ما جاء في الأناجيل الأربعة من أقوال ابن الله ومعجزاته وأمثاله، وهي التعليم الحي الذي يشرح لنا تدبير الخلاص. هذه نفهمها حسب قواعد التدبير وهي:

أ– إن المعنى الأبدي يفوق المعنى المؤقت للكلمة.

ب– إن تكرار الألفاظ واختلافها هو أمر ضروري لكي يفهم كل تلميذ حياة المعلم حسب قدرته، لأن الفهم ليس هو قاعدة الإيمان بالمسيح، بل المحبة التي تقود الفهم.

جـ– تُشرح الألفاظ في الأسفار المقدسة بروح الحياة وليس بروح الموت. وروح الموت تنبع من اعتبار أن المعرفة الذاتية هي شريعة الخير والشر. وهكذا يشرح الهراطقة الأسفار حسب الموت، أي بوضع العراقيل والصعوبات أمام الذين يطلبون الحياة الأبدية والإتحاد بالله في المسيح، بينما يشرح الآباءُ الأسفارَ حسب روح الحياة بطلب الالتصاق بالمسيح في معاني كلمات الأسفار المقدسة.

د– يظل تناقض الحياة مع الموت ظاهراً في الضعف اللفظي؛ لأن اللفظ ينقل ضعف الإدراك وأيضاً قوة الحق وكلاهما يظل لاصقاً بالآخر.

١٤– غيَّر موتُ الرب على الصليب الموتَ نفسه؛ لأن مَن يموت مع المسيح ليس كمن يموت حسب قانون الموت الطبيعي. والموت مع المسيح هو قبول الصليب، أي قبول الموت لكي يصبح قوة حياة في المسيح المصلوب. أمَّا موت الطبيعة البشرية بدون المسيح وبدون الصليب، فهو انحلال طبيعي لا يؤدي إلى الخلاص.

١٥– حوَّل المسيح – بالموت وبقيامته – انحلال الجسد إلى ضعفٍ يؤدي إلى قوة وقيامة ومجد. أمَّا موت الطبيعة الإنسانية بدون المسيح وبدون شركة فيه، فهو موت الخطية الذي لا يتحول فيه الانحلال إلى مجد، بل يظل ضعفاً. **وهكذا تكون قيامة الأشرار بلا مجد؛ إذ يظل الضعف محيطاً بها مثل بقاء صدأ الحديد عالقاً بالحديد.** أمَّا قيامة الأبرار، فهي مثل لمعان الذهب بعد نار الصهر، ولذلك قال الرب "حينئذ يشرق الأبرار مثل الشمس في ملكوت أبيهم" وطوبى لمن يدرك قيامة الأبرار.

١٦– لنسمع ونشرح الأسفار حسب موت الرب المحيي، فلا نقتل كلمة الله بعدم السماع، بل لنسمع الكلمة لكي نسمع صوت الحق ينطق، ليس حسب الحرف، بل حسب قوة الوعد بالحياة. وهكذا يجب أن نفهم كيف جدد الرب كل شيء. لقد جدد الرب قوة العداوة، وحوَّلها إلى عداوة للخطية. ومع أن الخطية هي التي زرعت العداوة إلاَّ أن الصليب حوَّل العداوة إلى الخطية وجعلنا نكره الخطية، وبذلك صارت كقول الرسول: "خاطئة جداً". وحوَّل الربُ الخوف من الدفاع عن الذات إلى خوفٍ من الدينونة. وحول الرب الإدانة من إدانة الآخرين إلى إدانة دوافع القلب ونياته والحكم على النفس قبل الحكم على الآخرين. هكذا حول الزنى من الجسد إلى القلب لكي يجعل حكم القلب بقوة روح الحياة وبقوة الصليب والقيامة، فننال الحياة.

تأمَّلوا أيها الأحباء كيف حوَّل الصليب عداوة الإنسان لله إلى مصالحة مع الله. كان الإنسان يكره الله بسبب ألم الخطية وعذاب الحياة، **فجاء الديان العادل وذاق بالجسد عذاب الموت لكي يعلن شركته في ألم الإنسان ويحوِّل عداوة الإنسان إلى مصالحة؛ لأنه قَبِلَ ذات الألم الذي كان يحرك عداوة الإنسان.**

١٧– وفتح الرب ينابيع المغفرة دون مقابل. ولم يجعل أعمال الخير وسيلةً لنوال المغفرة، بل جعل هذه الأعمال ثمرة المحبة، تحكم عليها المحبة وحدها، وبذلك نقل قوة العداوة إلى البغضة، أي صارت العداوة التي فينا موجهة نحو العداوة نفسها، وحوَّل البغضة التي فينا إلى بغضةٍ للبغضة؛ لأن هبة الحياة التي أعطاها لنا صارت قادرةً بالمحبة التي يسكبها

الروح القدس فينا، أن تميز الدمار الذي تخلقه فينا البغضة، وصارت الحياة التي فينا من المسيح تأخذ حيوية العداوة نفسها وتحوَّلها إلى عداوة للخطية. بهذا صار الرب هو قوة الحياة نفسها التي فينا. زرع بالصليب المصالحة وحول قوة النفس بالقيامة، وهي هبة الروح القدس للمؤمنين، إلى صراع ضد كل ما هو غريب عن المحبة والمصالحة.

١٨– هكذا حوَّلت القيامةُ الصليبَ إلى ظَفَرٍ وخلاص. **لم تكن القيامة ثمرة الموت على الصليب، بل ثمرة انتصار الحياة على الموت**. فالقيامة هي قوة الحياة التي في أُقنوم الابن والتي أُعلنت في الصليب عندما قابل الرب موت البشر في شخصه بعد أن قابله في موت آخرين مثل لعازر وابن الأرملة وفي معجزات الشفاء التي رَدَّت الحياة لكثيرين.

١٩– سبقت الحياةُ الموت؛ لأن الخلق من العدم أعطى للخليقة الوجود والحياة. وعندما سقط الإنسان الأول، صارت حياته أسيرةً للموت، أمَّا في الإنسان الثاني يسوع المسيح، فقد صار الموت أسيراً للحياة وخادماً للخلاص؛ لأن الرب قبل الموت على الصليب "بإرادته وسلطانه وحده". وأقام الرب ناسوته بقوة الحياة التي فيه، أي قوة أُقنومه الإلهي، وهي قوة إرادته الإنسانية أيضاً التي هي واحد مع إرادته الإلهية، وبقوة المسحة، أي شركة الروح القدس في تدبير الخلاص، وبقوة الآب ومسرته، وعلى هذه القوة شيَّد الربُ الحياة الجديدة المعلَنة في الكنيسة جسده الواحد الحي الذي يبقى شاهداً في العالم بقيامته إلى أن يجيء.

٢٠– جسد الرب الواحد هو الكنيسة، أي جسده المحيي الذي كُوِّنَ أولاً في أحشاء البتول بالروح القدس لكي يكون لكل مؤمن بداية جديدة من فوق من روح الآب، **ولكي – عند كمال التدبير – يجدد الرب الجنس البشري وينقل الطبيعة الإنسانية من الوجود حسب نعمة الصورة الإلهية، إلى الوجود حسب نعمة التبني، وحسب الشركة في الطبيعة الإلهية بالروح القدس الذي يعطي بدايةً جديدةً للجنس البشري مثل تلك البداية التي أعطاها للرب عندما تجسَّد.**

٢١– أخذ الرب الناسوت من والدة الإله وجعله "واحداً معه"، وقدَّسه

واتحد به وسكب عليه الروح القدس، ثم قدَّمه قرباناً عنَّا للآب لكي يبيد به الموت، ويفتح الأحضان الأبوية لنا، وبعد ذلك مجَّده بالصعود ودخل به إلى "قدس الأقداس" لكي يكون لنا فيه وبه ذات الدخول.

٢٢- وبموت الرب على الصليب وقيامته صار جسده الحي هو ينبوع الحياة الآدمية الجديدة، وصار العطية التي تُعطى لنا في سر الشكر لكي نتحول به وفيه، **لأننا بالاتحاد بالرب في المعمودية المقدسة ومسحة الميرون وسر الشكر لا نبقى خارج المسيح بالمرة، بل نصبح معه واحداً** كما تقول الكنيسة بصوت الروح القدس: "لكي لا يقوى علينا نحن عبيدك موت الخطية ولا على كل شعبك". فقد أباد الرب الموت وأبطله. أمَّا خارج المسيح، فالدينونة والغربة الأبدية عن محبة الله التي افتدت جنسنا العاصي. **وهكذا نحن واحدٌ معه حسب الحياة التي في المسيح وحسب النعمة التي وهبت لنا وحسب اتحاد أُقنومه الإلهي بطبعنا البشري.** ونحن نصبح مثل الابن الوحيد المتجسد، أي مثل آدم الثاني. ولم يعلِن لنا الرب ماذا سنكون بعد ذلك حسب قول الإنجيلي، **ولكننا سنصير مثله في محبته للآب**؛ لأن محبة الله واحدة لا تنقسم. **ونصير مثله في المجد الذي أشرق من ناسوته**؛ لأننا جسد واحد معه وفيه. **ونصير مثله أبناء الآب**، هو متقدم بالأزلية، ونحن نتساوى به في محبة الآب لنا؛ لأن الآب يحب أعضاء جسد ابنه كما يحب ابنه ولا يفصل بين الاثنين؛ لأن المحبة تميِّز ولا تفصل، بل تجمع وتوحِّد وتحفظ الفروق التي غرسها الرب، أمَّا الفروق التي جاءت بها الخطية، فهي تختفي وتذوب بفعل النعمة الإلهية؛ لأن الرسول يقول: "مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية". وهكذا بقوله ثبَّت وجود الفروق؛ لأن الرسل غير الأنبياء في المواهب والقامة الروحية، ولكن يبقى الأساس الواحد الذي يجمع المختلفين لأن الرسول يقول: "لأن المقدس والمقدسين هم من واحد"، وهذا هو وعد الرب لأنه جاء لكي يجمع أبناء الله المتفرقين بتنوع العطايا إلى واحد، أي ذاته الإلهية.

٢٣- وقيامة النفس التي تسبق قيامة الجسد هي ضرورية جداً لفهم تدبير

الخلاص. أمَّا قيامة النفس فهي تحدث في المعمودية، وعلامات هذه القيامة حسب تعليم الآباء القديسين هي:

أولاً: اشتهاء الاتحاد الدائم بيسوع المسيح ربنا الذي أعطانا الحياة الجديدة.

ثانياً: الرغبة في عمل الوصايا الإلهية مهما كانت التكاليف والمتاعب.

ثالثاً: الثبات في مغفرة ذنوب وخطايا الآخرين.

رابعاً: محبة الأعداء؛ لأن مغفرة خطاياهم تحرر القلب من الأهواء وتعطي السلام لمن يغفر. أمَّا المحبة فهي ترفع الصلاة الدائمة لكي ينال هؤلاء عطية الحياة الأبدية.

خامساً: العزم على الالتصاق بالرب في الأسرار الإلهية.

سادساً: تمييز الأفكار والنيات التي تبعدنا عن محبة الله وعن السلوك بقداسة.

هذه هي علامات قيامة النفس، وهي العلامات التي تؤكد فقدان الموت لسلطانه على النفس أي على الفكر والإرادة الإنسانية.

٢٤- قيامة الجسد – في اليوم الأخير – بعد قيامة النفس هي تدبير الخلاص، لأن الروح أولاً وبعد ذلك الجسد، والروح هي أصل الجسد، وهي أصل كل الأمور الإنسانية، وتدبير الروح هو الذي يضبط تدبير الجسد.

٢٥- وتعبِّر الكنيسة عن قيامة النفس في صلواتها بطريقتين: الطريقة الأولى: عندما تدعونا إلى قبول نعمة الله الوافرة، أي سُكنى الروح القدس والاتحاد بالرب في الصلاة وفي الأسرار. الطريقة الثانية: عندما تطالبنا بالنهوض من نوم الكسل والتغافل والتواني والسعي إلى التوبة عن "الأعمال الميتة"، أي تلك التي بلا ثمر.

٢٦- وإذا كنا قد ذكرنا قيامة النفس وهي القيامة الكبرى، فلأنها قيامة روح الإنسان من موت الخطية. **وقيامة النفس لا تعني بالمرة أن يخلو العقل من الفكر الرديء أو أن يحيا القلب في سكون وسلام الملكوت بلا عواصف وقلق الشر؛**

لأن هذا هو ما سوف يحدث لنا في ملكوت السموات عندما ندخل إلى "راحة المسيح"، أمَّا الآن فإن قيامتنا تتم دفعةً واحدةً لكي تمزِّق أكفان الخطية والشر التي نسجها العدو حولنا والتي تحيط بنا، وبعض هذه القيود نابع من القلب ومن الذاكرة.

٢٧- وحسب تدبير هذه القيامة الحقيقية، تحصل النفس على معونة كاملة من فوق لكي تسعى وراء العريس السماوي رغم المعوقات التي يضعها العدو في الطريق. وهكذا علينا أن نكون على حذر من الأمور التالية:

أولاً: نوم النفس، وهو طلب الراحة الكاملة. ونوم النفس هو أيضاً أن تسكن النفس في غير موضعها. وموضع النفس الحقيقي هو الله، ومسكنها هو الرب يسوع المسيح الذي "سكن فينا"، أي في إنسانيتنا لكي نسكن نحن فيه وبه في الثالوث القدوس.

ثانياً: وطلب الراحة يجب أن نميِّزه في صورته الحقيقية؛ لأن تعب الجسد نحس به في أعضائنا وهو يُلزمنا بالراحة. **أمَّا تعب القلب، فهو شقاء وتعب خفي مصدره الحقيقي فقدان الرجاء والخزي وصغر القلب**. هذه هي قتالات النفس التي تحاول النفس أن تتخلص منها، ولا تجد لها معيناً في ذلك سوى ربنا يسوع المسيح نفسه الذي إذا طلبت النفسُ الالتصاقَ به وصار هو قصد الحياة وغاية الوجود، لوجدت النفس الراحة الحقيقية.

لنراقب حياتنا حتى لا يتحول تعب النفس إلى مصيدة كبيرة تمسك بها الرذائل حياتنا وتخذل نعمة الله.

ثالثاً: عدم وضوح الهدف، فلكل شيء في الحياة غاية. وغايتنا هي الله، ووسيلتنا هي الله. هذا فرحٌ حقيقي أن يكون الله هو الغاية والوسيلة معاً. وهذا نفسه يملي علينا أن نميِّز بين ما نظن أنه هدف وهو غير الله، وما نظن أنه وسيلة وهو أيضاً غير الله. الوقوع في هذه المصيدة هو داء المبتدئين الذي يلازمهم حتى تشفي – التجارب واليأس من الوسائل البشرية – نفوس هؤلاء.

٢٨– القيامة هي الوسيلة الوحيدة للاقتراب من عرش النعمة؛ لأننا بالاقتراب من عرش النعمة بالمسيح الحي، ننال هبة الحياة التي تؤهِّلنا لأنْ نتقدم به وفيه للآب سائلين نعمة البقاء فيه كما بقيت فيه الطبيعة الإنسانية التي أخذها من والدة الإله، واتحد بها على ذات المثال بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.

٢٩– وبقيامة الرب صار له كهنوتاً حياً وشفاعةً دائمة، فهو الرأس الحي الذي منه تنحدر الحياة إلى باقي الأعضاء. والانحدار هو انحدار التواضع من حياة ممجدة غالبة الموت والخطية إلى حياة تغلب الموت والخطية فينا، فقد غلب هو أولاً، لكي نغلب به، ولكي ننال قيامةً في حضرة الآب، أحياء في المسيح، وبه نبقى إلى الأبد.

٣٠– ويشفع فينا الرب، لأننا نؤمن أن **يسوع المسيح يصلي فينا،** فهو الرأس الذي منه تأتي الكلمات ومنه قوة التوسل، وهو الذي يحدد غاية كل صلاة. **ويصلي يسوع معنا؛** لأنه يقدم صلواتنا للآب كرئيس كهنة حي كائن في السماء وعلى الأرض. **وهو يصلي لأجلنا؛** لأننا نحن أعضاء جسده. وبموت المسيح على الصليب لم يعد التوسل تذلل الخطاة كما كان في العهد القديم، بل صار التوسل هو إدراك عجزنا عن أن نحيا بدون عطية الحياة. وبقيامة الرب لم تعد الشفاعة، أي شفاعة المسيح هي توسل الأقل إلى الأعظم بكلمات تناسب مقام الأقل ومقام الأعظم، بل **صارت شفاعة المسيح هي الوساطة بين الحياة والموت، أي بين الحياة التي لا تموت والحياة التي تتحول من الموت إلى الحياة،** أي حياته هو التي تصبح حياتنا، حياةً واحدةً، وجسداً واحداً بروحٍ واحدٍ.

٣١– غيَّرت القيامةُ التوسُّل؛ لأننا نحن لسنا مثل غير المؤمنين، أي غير الأحياء بالمسيح، بسبب الخطية نتوسل في ذُل العبيد، بل نحن نتوسل لكي ننزع الكسل من حياتنا الخاضعة للأهواء والموت الجسداني.

وبالتوسل الدائم ننال يقظةً روحيةً. كما يخلق التوسُّل الوعي الحي والانتباه إلى أصل حياتنا الجديد – أي يسوع المسيح – الذي لا نطيق الانفصال عنه. هذا الوعي

الجديد يجعل فينا شوق الالتصاق بالمسيح دائماً، ولكن شوق الالتصاق ليس هو الالتصاق نفسه؛ لأن الالتصاق بالرب يُعطى لنا بقوة حقيقية لا انفصال فيها، أي قوة الروح القدس الذي هو واحد مع الآب والابن في جوهر واحد.

وعندما نقول إن للثالوث جوهر واحد غير منقسم فنحن نشير بكل استقامة أرثوذكسية إلى وحدانية الحياة الإلهية، وإلى ثالوثية الأقانيم غير المنفصلة التي تجعل عمل كل أُقنوم فينا معلِناً الوحدة والتمايز ومؤسِّساً بذلك الوحدة الكاملة بيننا وبين الثالوث. وهكذا يعمل كل أقنوم عملاً متمايزاً فينا، ولكنه محفوظ بالوحدة وبعدم الانفصال وعدم الانقسام الذي لا يليق بالله.

٣٢- تدعونا القيامة إلى تأمل حقيقة التضرع والبقاء في الصلاة الدائمة. فالتضرع الحقيقي حسب روح المسيح هو هربٌ دائم من الخطية، وشوقٌ للقداسة؛ لأن الهرب وحده لا يكفي، بل يعطل قوة النفس. والتضرع هو إصرارٌ على عدم الخضوع للموت، وحياةٌ حسب المحبة التي يسكبها روح المحبة، أي الروح القدس.

وهكذا أنارت قيامة الرب صلاة المزامير، وصارت رغبتنا في الابتعاد عن الأعداء الروحيين هي رغبة حقيقية في طلب الخلاص، أي طلب الحياة بلا خطية، وأول مظاهرها هو مسامحة الأعداء الأرضيين. أما سائر الكلمات الأخرى التي تتحدث عن نهاية الأشرار وهلاك الشر، فإن القيامة أفرزت معانيها عندما أكَّدت **أن هلاك الأشرار بالشر هو نهاية الخطية، وأن البقاء في الموت هو العطب الحقيقي الذي يصيب الإنسان.** أمَّا الكلمات التي تقال عن الأعداء المنظورين، فهي تقال بروح القيامة، إذ ترفض أن تكون لنا نهاية مثل نهايتهم؛ لأن الذين يسلكون حسب شريعة الحياة في المسيح يطلبون الحياة.

وهكذا تحذِّرنا المزامير من النهاية القاسية التي يسقط فيها الأشرار، ومن هاوية الابتعاد عن الله. **لقد سبى الربُ الهاويةَ بموته، ونزل إلى الجحيم مصلوباً أي حاملاً سمات المغفرة، فغلب قوة الهاوية بمسامير الصليب،** أي تلك التي جعلته يقول: "اغفر لهم"، رغم أنه توجَّع من خيانة وقسوة البشر أكثر مما توجَّع من المسامير. غَلَبَ

الربُ الهاويةَ بموته الذي لم يكن خضوعاً للموت مثل سائر البشر، بل هزيمةً للموت لأنه هو رب الحياة. **ولم تعد الهاوية قادرة على أن تبلع الخطاة؛ لأن موت الرب على الصليب أباد الدينونة، أي سلطان الهاوية.** وهكذا صار مصير الأشرار كما تذكره صلوات المزامير هو ما نتذكره نحن بشكر؛ لأننا خلُصنا من حكم الموت؛ إذ أباد الرب الموت بموته، وأضاءت القيامة ظلام الدينونة وجعلتنا نفرح بالملك الحقيقي يسوع المسيح رب الحياة والموت.

٣٣– تضرُّع الموت فينا هو فرح ضعيف وهو صوت العجز. أمَّا تضرُّع القيامة فينا فهو تضرُّع رجاء الحياة الذي لا يخزى. **والتوسل الكاذب هو توسل الذين يظنون أن الرب مثل البشر، وأنهم بكثرة الكلام ينالون ما يطلبون، فتصبح قاعدة الصلاة عندهم هي الإرادة التي لا تعرف الصليب.** أمَّا التوسل الحقيقي فهو طلب الحياة الناهضة من الموت في يسوع المسيح الذي تطهَّر من الموت بذبيحة الصليب، فصار سببَ خلاصٍ لكل الذين يطلبون وجهه.

٣٤– لا تقوم **الشفاعة الحقيقية** بتوسلٍ كاذب، بل **هي وحدة أعضاء جسد المسيح الواحد الحي،** أي الكنيسة. نحن أحياءٌ فيه وبه، ولذلك نحن جسده الذي لا يموت، جسده القائم من الأموات. والشفاعة الحقيقية هي تضامن والتئام أعضاء الجسد الواحد الحي في الوحدة حسب الحياة. هذه الوحدة تجعلنا نترك كل الأشياء التي تخلق الموت، وأول هذه الأشياء هي خطية العداوة، لأن العداوة هي علامة ظاهرة على الانفصال عن الحياة وهدم للوحدة. أمَّا القيامة فهي وحدة الأعضاء الحية معاً في وحدة الحياة أي المسيح الحي.

٣٥– تربطنا القيامة بالمفاصل والرُّبُط، أي بقوة الحياة المتنوعة التي في الرب. وهي قوة الحياة التي تسري في الجسد الواحد وتجعله حياً، والجسد هو أعضاء الرب أي المؤمنين. ونرى هذه الوحدة في تضامن الأعضاء من أجل الخير الحقيقي أي الله، وفي التئام الأعضاء ورغبتهم القوية في البقاء معاً في شركة الأعضاء وليس في عزلة الأفراد، لأن

الفرد مستقلٌ له حياة خاصة، أما الأعضاء فهم في وحدةٍ لهم حياتهم المشتركة.

٣٦- نحن لا نتحد بالجسد الواحد الكنيسة حسب مقاييس حياة الجسد البشري، بل حسب مقاييس جسد المسيح الحي. وهذه هي مقاييس جسد المسيح الحي:

أولاً: تعدد الأعضاء وتنوعها الذي يحفظ وجود كل عضو، وغنى المواهب، مما يقوي الوحدة ويجعل الوحدة تخدم الوجود الخاص لكل عضو.

ثانياً: لا تخضع حياة الجسد الواحد لمقاييس الاتحاد حسب الطبع المخلوق، بل حسب مقياس المسيح نفسه، وهو مقياسٌ تحدده كلمات الرب له المجد: "يجمع المتفرقين إلى واحد" فهو:

* رأسٌ واحد منه كل الأعضاء.

* جسدٌ واحدٌ، أي حياة واحدة.

* مواهب متنوعة ومختلفة تعطى بحسب تنوُّع الأعضاء، وهي مواهب نالها الرب نفسه ومنه تُعطى للمؤمنين.

* حياةٌ واحدةٌ إلهية متجسدة تعطى في وسط الخطية والموت؛ لكي تجدد وتقدس الميت وتجعله حياً.

٣٧- ومقياس القيامة هو مقياس الحياة الغالبة الموت، أي الغالبة الانفصال والفساد. وجوهر هذا المقياس تحرُّر الأعضاء من "البُطل"؛ لأن غنى مواهب الروح القدس يجعل للأعضاء غايةً جديدةً في الله رغم الموت والخطية، لأن "البُطل" هو قيد الطبيعة وانحصارها في انحلال العبودية مما يمنعها عن الوصول إلى غاية خلقها، وهي الله. **أمَّا الآن، فقد قام المسيح من الموت وقهر الفساد، وجعل الحياة الإلهية هي غاية الوجود الإنساني، وكشف بذلك عن سر خلق الإنسان على صورة الله.**

٣٨- وخضوع الخليقة للبُطل هو خضوع غاية الخليقة إلى الموت؛ لأن عدم الشركة في الله هو سبب انحلال الخليقة وسيادة الموت عليها.

٣٩– أمَّا الآن، فقد قام المسيح وصارت الحياة التي لا تموت هي كمال الوجود، وكمال الحياة؛ لأن الخليقة في المسيح يسوع قد وصلت بالمسيح إلى حياة عدم الموت.

٤٠– وكمال الحياة بالقيامة هو كمال الوجود. وإذ قال الرسول إن الابن له المجد "قد كُمِّل بالطاعة"، فقد أطاع حتى الموت موت الصليب لكي يكمل الخلق الجديد فيه بالانتقال من الموت إلى الحياة الغالبة لكي تتحرر الخليقة من الفساد والموت.

٤١– قام الرب ومعه قامت الطاعة، ولم تعد طاعة العبيد، بل طاعة المحبة. **فقد قبل الابن ما هو ضد طبعه، أي الموت لكي يعطي الخليقة ما لا وجود له في طبعها، أي الحياة التي لا تموت.**

٤٢– أكمل الربُ التدبير بالموت، ونقل الطاعة من عبوديةٍ للناموس إلى محبةٍ للآب. ولبس صورة العبد لكي نلبس نحن صورة الابن أي صورة من هو حُر بالطبيعة وغير مستعبد حتى للموت، **لأن عبودية الشخص (الأقنوم) للطبيعة هي حالة الخطية، أمَّا تأقنم الطبيعة في الشخص وتحوُّلها إلى حياةٍ شخصية، فهي حالة الحرية لآدم الجديد التي كان عليها الرب المتجسد الذي جعل حياته الحرة تؤقنم الطبيعة الإنسانية،** وبذلك "جسَّد" الحرية الحقيقية؛ إذ جعلها بالمحبة تصبح حرية البذل أي حرية الطاعة.

٤٣– والطاعة الحقيقية هي حرية البذل، أي طاعة الآخر من أجل المحبة، وطاعة الآخر بسبب الشركة، وطاعة الآخر بسبب الوحدة.

٤٤– وعلاقة الطاعة بالمحبة وبالحرية تظهر لنا جلياً إذا جرَّدنا الطاعة من الخوف، فطاعة الخوف مصدرها هو طاعة بلا تدخل حقيقي من إرادة الطائع؛ لأن الخائف – بالخوف – يجرد ذاته من حرية الاختيار، أي من الإرادة. وطاعة العبد هي طاعة بلا شركة بين السيد والعبد. وطاعة الخوف للسيد هي طاعة بلا بذل، بل قد تكون عن إكراه. هذا كله غائب عن حياة الرب؛ لأنه غائب من الثالوث، وبالتالي فلا وجود له في حياة الابن المتجسد.

٤٥– أمَّا طاعة المحبة، فهي طاعةٌ عن حرية. وهي طاعة لا تجرَّد من الإرادة، بل تقوم فيها الإرادة بالبذل بسبب وحدة الجوهر. وهنا، مَن يطيع لا تختلف إرادته عن إرادة مَن يطلب الطاعة؛ لأن في طاعة المحبة تحرِّك الشركةُ الإرادة، وهنا في الثالوث الشركة هي شركة إرادة واحدة.

٤٦– قيل إن الرب "وضع نفسه وأطاع حتى الموت"، وعبارة الرسول تؤكد أنه وضع نفسه كمساوٍ للآب لكي يعلن – اتضاعُه – عن المساواة، لأن المساواة هي جوهر الشركة وهي قوة المحبة الإلهية.

٤٧– بطاعة الرب قامت الطاعة من قبر الخضوع المزيَّف، أي خضوع الخوف، ونهضت حيةً من ذُل العبودية، وصارت طاعةً قائمةً (من القيامة) من أسر الشخص للطبيعة، إلى أسر المحبة، أي إرادة الشخص للطبيعة، وخضعت بذلك الطبيعة للشركة والبذل، أي للشخص.

٤٨– أمَّا أسر المحبة، فهو بلا أغلال وبلا قيود؛ لأن المحبة لا تقبل القيود.

٤٩– أمَّا أسر البذل، فهو أسر الشخص أي الأقنوم للطبيعة حيث تأسر حرية المحبة الطبيعة، وتصبح الطبيعةُ خاضعةً للإرادة، فلا تخضع الإرادة للطبيعة كما في الكائنات غير العاقلة المقيدة بالطبيعة.

٥٠– خضوعُ شخصٍ للآخر هو خضوع شركة وليس خضوع طبيعة لطبيعة؛ لأن الشركة تبقى بالعطاء وبالحرية، أي حرية الإرادة، وليس في الشركة عطاءٌ أعمى تجود به الطبيعة حسب القوانين الخاصة بالطبيعة.

٥١– القيامةُ هي البقاء الأبدي، وهذا ليس قانوناً تفرضه طبيعةٌ ما، بل هبة الله في المسيح، وهو البقاء الحر بالشركة في الله أي في أقانيم الثالوث. وتبقى القيامة هبة أبدية لأنها:

أولاً: عطاءُ شخصٍ، أي أقنوم المسيح لعطية الحياة، أي عطاءٌ حرٌ نابعٌ من

المحبة.

ثانياً: **بالقيامة ساد الأقنوم على الطبيعة، أي سادت الحياة على الموت. وبذلك ساد المسيح على الطبيعة المستعبَدة للموت والانحلال. وبسيادة الأقنوم على الطبيعة، صارت صورة الخلود الحقيقي هي الشركة في أقنوم الابن، أمَّا صورة خلود الأشرار فهي سيادة الطبيعة، أي عدم الموت على الشخص، حيث تتحقق كلمات الإنجيل: "الدود الذي لا يموت والنار التي لا تطفأ"، أي سيادةُ خلودٍ على طبيعةٍ فاسدةٍ حيث يخضع الأشرار للطبيعة ليس عن اختيار، ولا تقوى فيه إرادة الأشرار على تغيير الطبيعة بسبب عدم اشتراكها في أقانيم اللاهوت.**

٥٢- القيامة هي قانون الشركة في الطبيعة الإلهية كعطية. والقيامة هي عطية الحياة التي لا تموت. وصارت قانوناً لا يحكم الطبيعة، بل قانون هبة وقانون عطية؛ لأن العهد والقانون هما واحد؛ لأن العهد هو الرب يسوع المسيح، والقانون هو الوعد والضمان الذي أسَّسه الرب بقيامة طبيعة البشر فيه، وهي القيامة التي ساد فيها الرب على الطبيعة الميِّتة وحوَّلها فيه إلى حياة، فصارت القيامة "**في المسيح**" و"**بالمسيح**" ولاحظ أن هذه الكلمات تؤكد المصدر والهبة في الأقنوم الواحد.

٥٣- القيامةُ هي "**في المسيح**"، أي حيث صار هو ينبوع الحياة التي لا تموت. والقيامة هي "**بالمسيح**"، لأنه وسيط الحياة، وهو وسيط نصرة المحبة على الانفصال، ووسيط نصرة الشركة على "البُطل"، ووسيط نصرة الحرية على عبودية الطبيعة.

٥٤- كيف ولماذا صار المسيح هو الوسيط الواحد؟

أولاً: لأنه هو وحده الذي جمع اللاهوت بالناسوت في شخصٍ واحدٍ هو أقنومه الإلهي المتجسد. وبهذا صار اللاهوت والناسوت لأول مرة في وحدة لا انفصال فيها، ولا توجد فيها فرصة تراجُع عن تبادل الصفات.

ثانياً: لأنه هو الصورة الإلهية الكاملة أي صورة الآب، وهو الصورة الإلهية

الكاملة التي أعطاها هو في البدء للإنسان؛ لأننا خُلقنا "حسب صورته ومثاله". وهو الذي وحده جمع الصورتين معاً في وحدةٍ واحدة. أخذ كيانه الإلهي من الآب وكيانه الإنساني من العذراء، فردَّ بذلك شركة الصورة الإلهية، أي كيانه الإلهي في نعمة صورة الله للإنسان، وهي الصورة التي فقدناها بالسقوط، أي النعمة التي فقدناها بسبب تعدي آدم الأول. **وهكذا نقل نعمة الصورة الإلهية التي لنا إلى الأساس الأزلي، أي صورته الإلهية كابنٍ وحيدٍ للآب،** ولأننا لم نعُد أبناء الآب بعد السقوط، بل صرنا مستعبدين للطبيعة الساقطة، جاء الابن ونقلنا إلى صورته لكي ننال فيه الحرية.

ثالثاً: **بالسقوط لم نفقد الصورة تماماً، بل ظلت فينا مثل جذرٍ حي، ولكنه لا ينمو حسب صورة الله غير الفاسدة، بل ينمو حسب صورة عبد الخطية، أي الاستعباد للطبيعة، وبذلك تشوَّهت معرفتنا بالصورة الإلهية.**

٥٥- عندما تجسَّد ربنا يسوع المسيح أخذ صورة العبد، أي الطبيعة الإنسانية الخاضعة للموت؛ **لأن الخضوع للموت هو معنى صورة العبد.**

٥٦- حوَّل الربُ هذه الصورة (أي الطبيعة المستعبَدة) إلى صورة الابن، أي الشخص الحر بالإتحاد بها الذي رفعها إلى صورة الابن أولاً: بالحياة التي عاشها. ثانياً: بطاعته للآب. ثالثاً: بقبوله الموت، الداء الخفي الذي علَّم الإنسانيةَ الخوف وزرع فيها شهوة التسلط ورغبات التملك والقهر، وهي محاولات فاشلة للهرب من الموت.

٥٧- أمَّا الرب الصالح محب البشر، فقد أحب الطبيعة الإنسانية وأقنم هذه الطبيعة وفصلها عن الخطية؛ **لأنه لم يحب الطبيعة الإنسانية المجردة، بل أحبها في شخصه،** ولكي يجعلها في بهاء أقنومه. ولم تكن محبته من أجل قصدٍ آخر غير محبة الآب، ولم يطلب أن يعمل شيئاً بدون الآب؛ لأنه قطع "هوى" القلب بالطاعة، وحصر محبته لذاته في محبة الآب، وأحب ذاته أزلياً بمحبة الآب، ورأى ذاته في الآب ولم يَرَها مستقلةً عن الآب كآدم الأول. وعندما تجسَّد وجد في محبته للآب ومحبته لذاته محبةً واحدة غير منقسمة، ولذلك قال: "لأجلهم أقدِّس ذاتي ليكونوا مقدسين في الحق"، أي

حق المحبة الواحدة غير المنقسمة؛ لأن المحبة المنقسمة هي باب الخطية.

٥٨– لم يكن للطبع الإنساني الذي أخذه الابن من العذراء وجودٌ مستقل، أو كيانٌ خارج أقنوم الابن المتجسد. وهو ما حوَّل الطبيعة الإنسانية فيه – بسبب الإتحاد – إلى طبيعة متأقنمة. هذا التحول، جعل ناسوت الابن ينتقل من الوجود الأول، أي آدم الأول الذي جاء من العدم إلى الوجود الجديد، أي آدم الأخير الذي تكوَّن بالاتحاد بأقنوم الابن، فصار كل مَن يولد من آدم الأخير يولد بالإتحاد بإقنوم الابن. وهكذا نقل الابن كياننا من حياةٍ تموت إلى مصدر الحياة التي لا تموت بالاتحاد الأقنومي لكي به وفيه ننتقل إلى الوجود الحقيقي، أي الوجود كأبناء في يسوع المسيح ربنا.

٥٩– وبسبب الإتحاد الأقنومي تحوَّل الكيان الإنساني في الرب إلى كيانٍ سماوي لا يموت موت الخطاة، بل يموت بإرادة الابن الحرة، لكي تدفع حرية الابن الموتَ بحرية، ولكي بحرية إرادته يقهر الموت. وعندما أسلم على الصليب جسده المقدس بإرادته وسلطانه (يوحنا ١٠: ١٤)، هزم الموت بإرادته، وحوَّل الناسوت إلى عدم موت وعدم ألم حسب قدرته الإلهية. وهكذا صارت القيامة بقوة إرادة الرب وليس باستسلامٍ لقوة طبيعةٍ، وتحوّل الطبع الإنساني الذي أخذه إلى صفة أقنومية هي صفة عدم الموت الخاصة بلاهوت الثالوث.

٦٠– لم تكن القيامة هي مجرد قيامة الناسوت، بل قيامة الحياة الإنسانية المتأقنمة بقوة الإتحاد، أي الحياة الإنسانية التي لا وجود لها خارج لاهوت الابن أو بدون لاهوت الابن كلمة الآب. هذا يعني أن القيامة هي عودتنا للشركة في الثالوث، أي شركة الابن الحي قبل تجسده في الآب والروح؛ لكي نعود بالقيامة إلى أصل التدبير (الإيكونوميا) أي إلى ما كان حسب إرادة الثالوث قبل الخلق، أي قبل تكوين العالم. بهذه العودة نستطيع أن نعرف معنى عبارة الرسول: "دم يسوع المسيح المعروف سابقاً قبل خلق العالم" وقيامته المعروفة سابقاً قبل خلق العالم كقوة حياة لا يغلبها الموت.

٦١– لنطلب طقس (ترتيب) موت الرب المحيي؛ لكي ندرك به طقس (ترتيب) قيامته المجيدة.

وطقس موت الرب خاصٌ بنا؛ لأننا نحتاج إلى صَلْبه وموته لكي نتحرر بقوة الصليب من الأهواء. وما هي قوة الصليب المكرم إلاَّ قوة غلبة الموت. وما هي قوة القيامة إلاَّ قوة حياة الأبد، أي قوة الرب نفسه التي تحرر من الفساد.

٦٢– وطقسُ موت الرب الذي نشترك فيه هو طقس تجرُّدنا من كل صور الحياة القديمة لكي ننال الحياة الجديدة أولاً: بذبح النية. وثانياً: بمعونة الروح القدس. وثالثاً: بقوة الصليب المحيي.

هذه الثلاثة لا تنفصل؛ لأن الصليب هو ختم الروح القدس الذي به تُختم أجسادنا في مسحة الميرون. كما أن الروح القدس هو عطية الحياة التي من الآب ووُهِبَ لنا بالصليب. وذبح النية غير الملتزمة بالمسيح أي تلك التي تتجه إلى أي شيء آخر، هو ذبح الإرادة التي تتكون فينا لأجل غاية أخرى غير الله.

٦٣– ندخل طقس موت الرب "بالنية" التي لا تطلب صورة العبد الأول أي آدم بعد السقوط، بل صورة آدم الثاني الرب من السماء الذي ليس عبداً حسب الطبيعة، بل حسب الأقنوم، الابن الذي لبس صورة العبد من أجل خلاصنا، ولذلك السبب قال الرسول: "ألبسوا الرب يسوع ولا تصنعوا تدبيراً حسب الجسد".

٦٤– وعندما حوَّل الابن صورة العبد إلى صورة الابن بالصليب وبالقيامة، جعل هذا التحوّل هو ينبوع الأسرار في الكنيسة، بل أساس الحياة المسيحية وجوهر الكنيسة جسده المقدس الذي هو دائم الولادة والتحوّل من آدم الأول إلى آدم الأخير.

٦٥– بقبول الموت إرادياً يتم "تطقيس" النفس، وبالممارسات النسكية يتم "تطقيس الجسد"، طقسٌ واحدٌ للنفس والجسد.

٦٦– طقس موت الرب هو الموت الإرادي الذي تطلبه النفس بشوق من أجل

الأمور الأبدية. يُزرع الموت الإرادي بكلمة الله، وهو يؤسِّس ميزان تمييز صحيح "صنجتُه" آلام الرب نفسه التي "تزِنُ" أمور الدهر الآتي وتجعلها أثقل من أمور الدهر الحاضر، وتعلن "ثقل" المجد الأبدي كمقابلٍ لتفاهة أمور العالم الحاضر. وكفة الميزان هي القصد. والميزان هو ميزان التمييز نفسه الذي يجعل الكفة الراجحة هي كفة الصليب وآلام الرب.

٦٧– وعندما تنمو الإرادة المتجهة نحو الأبديات في يسوع المسيح، تموت فيها لذة الاستمتاع بالأمور الزائلة، وتجد النفس ذاتها متجهةً نحو الموت بوعي وتسليم، فلا تتراجع عن الأمور الأبدية من أجل الذي مات عنها وقام أي العريس السمائي ربنا يسوع المسيح. عند ذلك ترتب النفسُ طقسها الداخلي مثل عروسٍ، وتتزوج المسيح. ويصبح زواج المسيح بالنفس هو عُرس السماء بأسرها. ومتى تم ضبط طقس الموت الإرادي تتجه النفس نحو الطقس الخارجي، أي الممارسات النسكية التي نمارسها مع الجماعة حسب طقس الرهبنة لأبينا الأنبا أنطونيوس.

٦٨– انقطاع الإنسان عن الطعام يبدأ أولاً بانقطاع العقل عن الكلام، وانقطاع الرغبة في الحياة بعيداً عن المسيح وعن شركة موته وقيامته. فإذا ثبُتت النفس في ذلك، استهانت بالصوم، وفرحت بالإمساك عن كل الأمور الزائلة الدنيا.

٦٩– وطقس الممارسات النسكية الذي هو قانون الجماعة يكون حسب الطقس الداخلي للنية والموت الإرادي مع الرب، ويصبح واحداً معها كمثال اتحاد اللاهوت بالناسوت، بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.

٧٠– طقس قيامة النفس مع المسيح وبالمسيح هو عيد النفس الذي يسبق عيد الجسد؛ لأن عيد الجسد هو عيد يوم المجازاة ويوم فرح القديسين بالدينونة. أمَّا عيد النفس، فهو عيد الفرح الأبدي الذي يغمر النفسَ من آنٍ لآخر.

يبدأ العيد بصلاة العشية، أي غروب الاهتمامات الباطلة والفرح بعبور بحر العالم وغروب كل ما في الحياة، حتى ما هو صالح منها، لكي يشرق شمس الحياة ربنا يسوع المسيح. ويكمل عيد الفرح بالتجرد الكامل واقتناء ربنا يسوع المسيح نفسه كعريس واحد

ووحيد تأخذه النفسُ كميراثٍ سمائيٍ لا يموت، فتفرح به فرحاً لا ينتهي وتشارك الخليقة كلها به مثل تسبيح المزمور المائة والخمسون.

٧١– ونهاية القداس تشير إلى نهاية زمان الغربة، أي عندما تجد النفس سعادتها في المسيح وتسكن فيه وتترك كل شيء آخر – مهما كان – لأجله. وترى النفس أنها كائنةٌ به وله وفيه. فهي **به** أي بإرادته، **وله** لأنها عروسه، **وفيه** لأنه ينبوع الحياة التي لا تموت.

٧٢– هذه رؤية المسيح الحي التي توهَب للنفس بالروح القدس؛ لأن النفس تسكن وتثبت في المسيح ولا تسكن ولا تثبت في مائتٍ، بل في الحي إلى أبد الآبدين.

٧٣– تستهين النفسُ بالآلام بسبب ثباتها في الحي إلى الأبد، وتفرح بالضيقات لأن "روح الحياة" ليسوع المسيح تجعل حياة يسوع أفضل عند النفس من كل شيء، فلا تنكر قوتها. وعندما نفرح بالمسيح وحده، ندرك أننا أخذنا عربون القيامة؛ **لأن القيامة هي ترك كل الأشياء والتمسك بالمسيح**.

٧٤– يقول الرسول: "صابرين في الضيق". يوجد صبر المصلوب، وصبر القائم من بين الأموات. صبر المصلوب يرى المجازاة ويتعزى. وصبر القائم من الأموات يرى الرب وحده ويتعزى بالاتحاد به.

٧٥– يقول الرسول: "لا نحب بالكلام ولا باللسان ولكن بالعمل والحق". أيُ عملٍ سوى عملُ ذاك الذي مات لكي يغفر الخطايا.

لنمُت نحن معه، فنغفر كل الخطايا؛ لكي نحيا معه في سلام المغفرة. لنحيا الصليب؛ لكي بالمسيح ننال حياةً جديدةً في الدهر الآتي.

٧٦– قال الرب: "أحبوا أعدائكم". وبمحبة الأعداء نتحرر من شعور البُغضة، ومن سيطرة البُغضة علينا. وعندما نحب الأعداء ندرك احتياج بشريتنا إلى قيامة الرب؛ لأن البُغضةَ موتٌ، فهي تحجِّر كل ما فينا، وهي جمود الفكر، وشلل الإرادة أي عجزنا

عن أن نتحرر من الخوف وتسلط الفكر الذي يرغمنا على أن نبقى في بئر اليأس.

٧٧– هل تريد أن تعرف مقدار إيمانك بالقيامة؟

تأمل قسوة وشدة دفاعك عن نفسك. إذا كنت بريئاً، فلماذا تغضب؟ وإذا كنت مذنباً، فلماذا تحرك الكبرياء أوجاع الداء الخفي، أي رأس أوجاعك؟

٧٨– عندما نغفر للأعداء نتعلم كيف نغفر، وبذلك – من الممارسة نفسها – ندرك رحمة الرب ومحبته.

٧٩– هل تريد أن تعرف إذا كنت قد مُتَّ مع الرب حقاً على الصليب؟

تأمل كيف تواجه الموت. ولماذا تحزن لضعف جسدك؟ وكيف تفتقد شهوات قلبك السابقة؟ .. كل هذه علامات تؤكد لنا أن الصليب لا زال فكرةً راسخةً في الفكر، ولم يصل إلى أعماق القلب لكي يحرر القلب من الداء الخفي (الخوف من الموت).

٨٠– على قدر الكبرياء تكون أوجاع الجسد؛ لأن الجسد إذا جُرِحَ لا يتألم إلاَّ بقدر شعور النفس وتقدير الفكر للجِراح. وهذا من ثمار الكبرياء، لأن الكبرياء تُعظِّم جراح النفس والجسد.

٨١– مَن كان جسده عزيزاً عليه أكثر من الحياة الأبدية، لن يقتنِ التواضع، بل يظل في سجن الكبرياء، يخاف أن يمسه سوء، وينسى أنه تراب.

٨٢– تسحق القيامةُ كبرياءَ النفس؛ لأنها تعلن أن مصدر الحياة هو المسيح، وأنه هو حياتنا. ويسحق الصليب عجرفة الفكر وشموخ العقل الذي يرفض العطاء ويظن أن العطاء هو نهاية ما يُعطى ... هكذا مزج الموت بين العطاء والخوف وجعل العطاء بمقدار تحرُّر الإنسان من الخوف.

هذه علاماتُ حياةٍ لم تدرك القيامة من الموت؛ لأنها لم تُصلب بعد. وهي وإن كانت لا تزال في الإيمان، ولكنها مقيدة بالخوف.

٨٣– إذا كان الرب هو فعلاً حياتك، فمَن يمكنه أن يأخذها منك؟ ولماذا تخاف من الغد ومن المرض ومن عدم القنية؟

يا مَن تظن أنك حكيم، ماذا أخذ الوالدون والأصدقاء من مقتنياتٍ معهم إلى الحياة الباقية؟ حارِب الخوف بالصليب، واقتنِ الحياةَ من الذي قال: "أنا هو الحياة"؛ لئلا تقتلك أوجاع الخطية.

٨٤– أقام الربُ المحبةَ نفسها عندما طهَّرها من الأنانية، وغرس فيها الصليب، فأثمرت المحبةُ الذبحَ. وطعَّمها بالقيامة، فأثمرت حياة عدم الموت. هكذا قامت المحبة من موت الخطية الذي تحصَّن في المحبة حتى قتلها.

٨٥– لا تموت المحبة، بل تضعف بالأنانية وبالشهوات. ولا تقوى عليها المخاوف، بل تسجنها مثل عملاقٍ مقيدٍ بأغلال، حتى العداوة لا تقوى على قتل المحبة، بل تقيِّدها. وعندما نحب الأعداء ننتقل من الموت، من الاهتمام بالذات، أي بالبذل إلى الحياة أي الشركة، لأن الذي يغفر هو مَن أدرك موعد الحياة الأبدية في يسوع المسيح ربنا.

٨٦– داس ربنا يسوع الموتَ بالموت بقوة لاهوته الذي لا يموت. ولكنه داس الموت بطاعته للآب، أي بقوة ناسوته الواحد مع لاهوته. وهكذا نحن إذ نصير واحداً مع الرب ندوس الموت بقوة لاهوته التي زُرِعَت فينا بالمعمودية، وبقوة نعمة طاعته أي طاعة المسيح التي نأخذها من الروح القدس، ومن الشركة في سر الإفخارستيا السمائي، فندوس الموت بقوة طاعة الرب.

٨٧– نحن نرشم الصليب باسم الثالوث القدوس؛ لأن الصليب هو عطية الثالوث للبشرية. هو قوة الخلاص لكل مَن يؤمن. وبرشم الصليب باسم الثالوث نعلن القيامة؛ لأن آخر كلمات الرشم هي "الروح القدس"، أي الاسم العزيز للأقنوم الثالث روح الحياة، روح الرب. وحيث روح الرب لا موت، بل حياة حسب كلمات الرسول: "وروح المسيح الساكن فيكم سوف يحيي أجسادكم الميتة".

لنفرح بالقيامة كلما رشمنا الصليب؛ لكي نأخذ قوة الرب الذي داس الموت، وأعطانا عربون القيامة، أي رشم الصليب.

٨٨– فرحَت الخليقة بمجيء آدم الجديد؛ لأنه جاء بالحياة بعد أن جاء آدم الأول بالموت. وهكذا نحن نرى فرح الخليقة عندما نُسبِّح ونمجِّد الثالوث، ونمجِّد القيامة.

إذا هجمت علينا أحزان هذا الدهر، فلنرشم الصليب بقوة حياة ربنا يسوع المسيح، وننتقل من الدهر المائت الزائل إلى الدهر الجديد الذي هو الآن وكل آن وإلى دهر الدهور، أي نهار الحياة الذي لا يغيب، وعُرسُ النفس الذي لا ينتهي.

٨٩– انتقلنا بالقيامة من ظلال الناموس، أي شريعة موسى إلى نور شريعة المسيح.

علينا أن نلازم الإفراز حتى لا نجعل شريعة الموت التي نُقِشَت على الحجر هي مفتاح فهم وممارسة شريعة الحياة أي شريعة الروح القدس.

وأول ما يجب أن نميِّزه هو أن نفرز الحياة حسب الإنجيل، أي حياة القيامة، وحياة الدهر الآتي، فهذه وحدها هي التي تُظهر لنا ضعف وعجز الشريعة الأولى وكمال ونقاء الشريعة الجديدة، شريعة الحياة.

٩٠– هذه هي شريعة الحياة الجديدة:

أ– كل ما هو حسب الحياة الأبدية هو من الله.

ب– كل ما هو قابل للفناء هو من نصيب التراب.

جـ– كل ما يوحِّدنا بالله هو من المحبة، ومتجسد في يسوع. وكل ما يفرقنا هو من الشيطان.

د– كل ما هو من الروح القدس، مقدَّسٌ بالطبيعة، وكل ما هو من الشيطان مصدر انزعاج وانقسام وسجس.

هـ- كل ما هو من القيامة يأخذ بدايته من الصليب، فإذا لم يكن له بداية في الصليب، علينا أن نكون على حذرٍ منه.

٩١- هذه هي شريعة الحياة القديمة حسب ظلال الناموس:

أ- تحكم حسب الظاهر، إذ تدين زنى الجسد وتترك زنى النية والقلب.

ب- تغسل الجسد وتعجز عن أن تطهر الروح.

جـ- تحكم حسب الحرف ولا تقبل غاية الوصية.

د- تدين وتحكم ولا تجدد ولا تُعلِّم المغفرة.

وهكذا علينا أن نختار تلك التي تقودنا من الصليب إلى القيامة، وتلك التي تقودنا نحو الابتعاد عن الله والاهتمام بالجسد والبقاء في أسر الشريعة؛ لأن الاهتمام بالذات وبالبر الذاتي هو أصل النفاق والشر في قلب الإنسان وضميره.

٩٢- خبز الحياة، أي جسد الرب ودمه، دُعيَ "قوت" وطعام الحياة الأبدية، بسبب قوة القيامة التي في جسد الرب، والتي جعلته طعاماً يهب الحياة. وما هي قوة القيامة الكائنة في طعام الحياة؟ كل ما نأكل يتبدد، أي الطعام البائد الذي قال عنه الرب ينزل إلى الجوف ويندفع إلى المخرج. أمَّا الطعام الباقي الذي للحياة الأبدية، فهو الذي ختمه الآب حسب قول المخلص بختم الحياة التي لا يقوى عليها الموت، أي الحياة التي أقامها الرب من القبر؛ لأن القبر هو علامة نهاية كل الأشياء. أمَّا الرب يسوع المسيح فلم يقوى الموتُ على أن ينزع حياته، بل داسه الربُ بقوة لاهوته المحيي وناسوته الذي أخذه من روح الحياة أي الروح القدس، ومن العذراء القديسة مريم.

٩٣- عندما نأكل خبز الحياة، فإننا نبقى في الحياة الأبدية وعدم الموت.

ولماذا نأكل دائماً وفي كل يوم إن أمكن؟ هل لأن الحياة التي أخذناها تقوى عليها الخطية حسب تصوُّر بعض البسطاء؟

الجواب الصادق هو أننا نأكل لكي نحيا، ولكي يستقر في قلوبنا الإيمان الطاهر بأن الحياة التي فينا ليست منَّا، بل من الرب يسوع؛ لأن أصل الشر الكامن في قلب الإنسان هو اعتقاده الراسخ بعدم الموت، وبأنه هو مصدر حياته، وأنه حيٌّ بذاته، وهي صورة الإلوهة الكاذبة التي اخترعها آدم، وعنه استقرت في الكيان الإنساني، فصار اعتقاد الإنسان بأنه يستقل عن الله، وأنه حيٌّ بذاته فصارت له شريعة حياةٍ غير شريعة الله، وصار التمييز بين الخير والشر هو تمييزٌ يقوم على تصوُّر مصلحة ومنفعة الإنسان، وهو تصوُّرٌ يلغي الشركة.

من أجل هذا السبب عينه، نحن نتناول كل يوم لكي ندرك أن مصدر حياتنا هو المسيح، ولكي تقلع الإفخارستيا ذلك الاعتقاد الراسخ الكاذب في قلب الإنسان. ونحن لا نعتقد بأن الخطية قادرةٌ على أن تقلع حياة المسيح، وهبة الحياة الأبدية التي أخذناها من الرب، فهي الرب نفسه، حياة دائمة غُرِسَت في سر المعمودية، وتنمو بالطعام السمائي طعام الحياة الباقية، أي جسد الرب ودمه.

٩٤- جاء الربُ وبموته أباد الموت، ودمَّر عرش الخطية المكين وهو الموت، فصارت الخطية بلا قوة، وفقدت قدرتها عندما سبى الربُ الجحيمَ وأبطل حكم الموت، ورفع من حفرة الموت القديسينَ الذين رقدوا على رجاءٍ. هذا الرجاء الثابت في يسوع المسيح ملكنا ومخلصنا، لا يجعلنا نعود إلى حالة آدم الأول، بل نبقى في شركة آدم الحي الرب من السماء.

٩٥- جدد الربُ حواس النفس، وجعل هذه الحواس قادرة على الرؤية، وعلى التعرف على الحياة الآتية التي جذرها في المسيح وأُعلِنت لنا في خدمته ومعموديته وقيامته.

هذه هي حواس النفس الجديدة كما نراها في المسيح:

هي الحواس التي تكوَّنت من إخلاء الذات (فيلبي ٢: ٦) ورؤية الجسد كذبيحة، وهي قناعة الروح بالتسليم المطلق للآب، مما يجعل رؤية النفس رؤيةً حيةً لا ترى ذاتها قبل

رؤية الآب، بل ترى الاثنين معاً. اثنان، لكنهما واحدٌ – على حسب عبارة التقوى الأرثوذكسية – "بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير"، وهو عطاء التدبير. واحدٌ حسب التدبير ومتمايزٌ حسب الطبيعة.

هكذا ترى العينان الشرَّ ونفاق الفريسيين وخبث اليهود وطمع يهوذا وخوف بطرس وارتداده وشك التلاميذ، تراقب كل هذه الشرور وغيرها دون أن تتأثر النقاوة الداخلية للقلب؛ لأن الرب كان بلا طمع في القوة، ولم يكن يناقش أحداً ولا طلب مجده، ولذلك لم تحرك هذه الشرور عواطفَ الخوف والريبة والحذر.

ومع أن الإنجيلي المقدَّس قال عن الرب إنه لم يكن يأتمن اليهود على نفسه، إلاَّ أنه لم يفعل ذلك بالشك والريبة والكبرياء التي تحرك أنواع الخوف، ولكنه كان يرى الشرور التي حوله بروح التسليم المطلق للآب السماوي، ولم تخلق فيه هذه الشرور العداوة والريبة وحب التسلط الذي هو نقيض إخلاء الذات، لأن قوة حياة التي لأقنوم الابن الكلمة قدَّست الناسوت، ولم تجعله يحيا حسب رؤية آدم الأول، أي الحياة المستقلة عن الله الآب التي خلقها السقوط.

٩٦– كانت حواس الرب وهو في الجسد مقدسةً، ليس فقط بسبب اتحاد اللاهوت بالناسوت، بل لأن الناسوت لم ينشأ ولم ينمُ في عزلةٍ وانفصالٍ عن الآب، بل تكوَّن في أحشاء العذراء القديسة مريم بالروح القدس.

كوَّن الروح القدس الطبيعةَ الإنسانية، وجعلها إناء حياةٍ للابن الكلمة، فنالت التبني بالإتحاد، وصارت واحداً مع ابن الله حسب تعليم الآباء القديسين؛ **لأن لقب الابن الوحيد هو خاص بالناسوت أيضاً كما هو خاصٌ باللاهوت**؛ لأن ابن الله وحيدٌ بلا شركاء في ميلاده البتولي من القديسة مريم، ولم يولد من زرع بشر.

٩٧– فتحت القيامة – كما فتح الصليب – حواس الرب الإنسانية لكي يقبل الألم والموت وسائر التجارب. وبسبب اتحاد اللاهوت بالناسوت حدث أمرين كل منهما فائق:

أولاً: قَبِلَ الربُ أن يسلم إرادته الإنسانية لإرادته الإلهية.

ثانياً: قَبِلَ الربُ أن يسلم إرادته الإلهية لإرادته الإنسانية؛ لكي يكون له إرادة واحدة إلهية وإنسانية، حتى لا تكون فيه ثنائية الانفصال التي كانت سبب سقوط آدم.

وحَّد ربنا صورة العبد التي أخذها، وجعلها واحداً مع صورة الابن، فرفع بذلك صورة العبد إلى صورة الابن. وتواضُع صورة الابن نراه في قبول الحياة كعبدٍ وخادمٍ غَسَل أرجل تلاميذه بإرادته الواحدة الإلهية الإنسانية. **وتأقنمت صورة العبد فصارت فيه وبه صورة الابن المتجسد، أي صورة العبد الممجد في صورة الابن،** ونالت هذه الصورة فيه أساس وجودها، ولذلك قال وهو يرى مجده الإلهي: "مجِّدني أيها الآب بالمجد الذي كان لي عندك قبل كوّن العالم".

وفتح اتحاد الصورتين في الرب الواحد حواس الرب الإنسانية لترى المجد الحقيقي، أي مجد العطاء والبذل، فصارت له بالإتحاد رؤيةٌ واحدةٌ، وفكرٌ واحدٌ، وقلبٌ واحدٌ ينمو إنسانياً حسب نمو الطبيعة الإنسانية، ولكن بإتحادٍ مع الابن الكلمة.

وماذا حدث لحواس الرب الإنسانية؟ كان الرب يسمع ويرى ويحس ويفكر مثلنا، ولكن بطريقة أخرى سوف تصير طريقتنا، لأنه لم يكن له عقل الإنسان الذي وُلِدَ خارج الفردوس، ولا حتى عقل الإنسان الذي عاش في الفردوس، بل عقل آدم الأخير الذي وُلِدَ والذي ينمو متَّحداً بالقوة الإلهية العاقلة.

ولما قال إنه لا يعرف اليوم ولا الساعة (مرقس ١٣: ٣١)، فقد كان يقصد فعلاً أنه لا يعرف اليوم ولا الساعة كإنسان مثلنا، ومعرفته الإلهية التي كانت له قبل خلق العالم، صارت محصورةً في الجسد وقدرات العقل الإنساني دون أن تتحول أو تتغير، بل صارت بحرية تامة تجهل اليوم والساعة مثل باقي البشر؛ لأن الرب أراد أن يأخذ جهل الإنسان لكي يعطي لحواس وقدرات العقل أن تعلو فوق هذا الجهل بالاتحاد بلاهوته وتكسب ما كان الإنسان عاجزاً عنه حتى قبل سقوط آدم الأول.

وهذا أمرٌ عجيبٌ حقاً؛ لأنه – كإله – يعرف كل شيء، ولكنه في تجسده دخل تحت حدود الزمان، وقَبِلَ أن يقيِّد معرفته بقدرات الإنسانية التي أحبها، ولم يتضايق من هذا القيد ولا اعتبره عائقاً يجب أن يدمره لكي يعلو على أبعاد الزمان ويسمو فوق حدود الإدراك الإنساني بالقوة، بل تذوَّق جهل الإنسان بحريته، ورفع هذا الجهل إلى فوق إلى حيث يمكن للعقل الإنساني أن يرى اليوم الأخير عندما يعلو فوق أبعاد الزمان وقدرات الإدراك.

ومع أنه أخبر التلاميذ عن علامات هذا اليوم ونهاية الأيام ومجيئه للدينونة، إلاَّ أنه كان يتكلم كنبيٍ، أي كان يتكلم بالروح القدس وكرأسٍ للأنبياء؛ لأن الأنبياء أخذوا عين الروح القدس التي ترى ما لا يراه البشر. وهكذا قال إنه لا يعرف اليوم ولا الساعة؛ لأنه يقف معنا على قدم المساواة. وهذه هي لذة اللاهوت ولذة محبته للبشر التي تجعله يختبر حدود معرفة الإنسان لكي يحب صنعة يديه ويذوق حقاً ما خلقه. وتأمل كيف يطرح البطل الكبير المفتول العضلات نفسه على الأرض وهو يلعب مع ابنه في فرحٍ وسعادةٍ أمام هجمات طفله الصغير؛ لأنه في هذه الساعة ينسى عن عمدٍ قوته وقدرته ويجعل قدرته محدودة حسب حريته. وهكذا أخذ الرب صفة النسيان من الطبيعة الإنسانية وجعلها واحداً مع لاهوته؛ لكي ينسى اللاهوت حسب التدبير، ولكي يقف عند حدود القدرات العقلية للإنسان، لكي يمهد لنا تجلي هذه القدرات بقوة ومعرفة اللاهوت. وهكذا قيل عن الرب إنه تعِب ونام وجاع وتألم، فذاق بالجسد كل ما لا يمكن للاهوت أن يتذوقه أو يختبره بدون الناسوت. وحقاً إن خالق المعرفة لا يتغير بالمعرفة، أي لا يتغير باتخاذ النسيان الإنساني صفةً له، لأن التغيير بواسطة المعرفة قاصرٌ على الطبيعة الإنسانية التي تنمو، أمَّا الطبيعة الإلهية التي لا تنمو بالمعرفة، بل هي مصدر كل معرفة، تترك ما تعرف عندما تشترك معنا في أحوالنا وفي طبعنا بحرية[1].

---

(1) يعتبر هذا أهم ما وصلنا عن المسيح له المجد، وهو خريستولوجي متطور جداً له سمات تعليم أثناسيوس وكيرلس، ولكنه أكثر تفصيلاً ويكشف عن جرأة الأب صفرونيوس.

٩٨– ولما قام الرب ونقض "أوجاع الموت" وهدم قوته عندما سمح لقوة الموت أن تجوز فيه، وأن تفصل نفسه عن جسده وتقوده نحو الجحيم، حدث أمرٌ فائقٌ عجيب، إذ استسلم الرب للموت جسدياً ووصلت حياته إلى حافة الهاوية، بل نزلت فيها. وحافة الهاوية هي ظلام الموت ونهاية الحياة الإنسانية من الحياة في النور الإلهي التي يشرق فيها النور الإلهي إلى حياةٍ كائنةٍ بدون النور الإلهي. هكذا تخلى الرب عن حياته للظلام والموت رغم اتحاد نفسه وجسده بالنور الإلهي.

هكذا دخل الموت إلى أعماق الاتحاد الأقنومي، وفصل حياة الرب الإنسانية بإرادة الابن ومسرته؛ لكي يبيد الانفصال الإنساني عن نور الحياة الإلهية، ولكي لا يبقى أحدٌ من الذين اتحدوا به غريبٌ عن الاتحاد به وبالآب وبالروح القدس. هكذا قال الرسول إنه نقض أوجاع الموت أي نقض وجع الانفصال عن الله. حدث هذا الانفصال فيه فصار مثل نارٍ اشتعلت في حقل قمحٍ محاطٍ بالمياه من كل جانب، واحترق القمح الذي فيه ولكن المياه المحيطة بالحق أطفأت النار عندما وصلت النار إلى حدود المياه. هكذا أخذ الناسوت من اللاهوت قوة الحياة، وصَب هذه الحياة في الجسد فقام الجسدُ حياً بقوة اللاهوت الذي لا يأخذ حياته من الطعام ولا يستريح بالنوم، بل هو حي بذاته وراحته في المحبة الأزلية. عند ذلك تمجَّد الناسوت بحياة عدم الموت، ولذلك قال الرسول في سفر الأعمال إن "جسده لم يرَ فساداً"، ولم يتحلل الجسد رغم خضوعه للموت لكي يعلن بشكلٍ أوفر قوة السر المجيد أي سر الشكر الإلهي الذي فيه وبه ننال الإتحاد بعدم الفساد، ونأخذ شكل القيامة المجيدة التي تُعطى لنا مثل بذرةٍ تظهر كاملةً في يوم الدينونة.

٩٩– وبقبول الرب تواضُع العبد تدرَّبت حواسه على سلوك آدم الجديد؛ لكي ينقل هذا السلوك لنا نحن الذين دخلنا معه وفيه فردوس الخليقة الجديدة أو الثانية.

كان الصليبُ مغروساً في ذاكرة الرب، وكانت رؤيته لحقول الحنطة تجعله يرى حياته مثل حبة حنطة تنتظر الحصاد، حصادُ حياةٍ لا تموت، وبذلك كان يرى خبز الإفخارستيا الذي كان في تدبيره الإلهي قبل خلق العالم. وهكذا ظل الصليب هو شريعة

السلوك اليومي له؛ لكي ينزع من الطبع الإنساني الحياة المستقلة عن الآب، ولكي يغرس فيها الحياة المتأقنمة بالاتحاد لكي تصبح هذه الحياة مثالاً لنا، ولكي توهَب لنا بالشركة فيه.

نحن نشترك في حياته، أي نصير مثله.

١٠٠- ولما كنّا الآن بصدد التعليم عن القيامة، كان من الضروري لنا أن نقول إن حواس الرب الإنسانية تألَّهت بالإتحاد وكَمُلَ تألُّه هذه الحواس بعد القيامة؛ لأن الموتَ رُفِعَ، والزمان خضع للتدبير، فصارت حواسه في النور الأزلي للابن الكلمة، فصار يرى كل الأشياء بذات الرؤية الواحدة التي كانت له قبل خلق العالم، وصار يحس بنا إنسانياً حسب عبارة الرسول "يرثي لضعفاتنا" (عب ٤: ١٥)، ولكن ليس بحسٍ إنسانيٍ مثل ذلك الحس الأول "مجرَّب مثلنا في كل شيء"، بل بحسٍ واحدٍ إلهيٍ وإنسانيٍ، يجعله واحداً مع كل الذين يأكلون جسده ويشربون كأس محبته أي دمه، ويتَّحدون به إتحاد المحبة التي لا انفصال فيها حسب قول الرسول بولس: "لا شيء يفصلنا عن محبة المسيح".

+ + +

تم إعادة نسخ المئوية الأولى للأب صفرونيوس في ٣ توت سنة ١٧١٥ للشهداء الأطهار
١٣ سبتمبر ١٩٩٨ لميلاد ربنا يسوع المسيح بالجسد.

نيح يارب نفس عبدك الأنبا مكسيموس أسقف القليوبية الذي تعب معنا في ترجمة النص القبطي عن مخطوطةٍ من القرن العاشر الميلادي تقريباً.